


قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



سعد بن أبي وقاص



المحتويات

- 3.....مقدمة
- 4.....إسلام سعد
- 6.....مناقب سعد
- 8.....سعد من أهل الجنة
- 9.....سعد والدعوة المستجابة
- 10.....سعد في غزوات النبي
- 14.....عمر يختار سعدا للعراق
- 16.....سعد يتوجه العراق
- 17.....سعد يوم القادسية
- 19.....ولاية سعد على العراق
- 22.....سعد أيام الفتنة
- 24.....وفاة سعد
- 26.....كلمة أخيرة (الدعاء المستجاب)

لما رحل خالد بن الوليد عن العراق بأمر من أبي بكر الصديق ترك خلفه المثنى بن حارثة الشيباني قائداً على العراق، لكن المثنى أصيب في معركة الجسر، وتفاقت عليه الإصابة حتى مات بسببها شهيداً، وأصبح العراق بلا قائد.. صار الهم الأول لعمر بن الخطاب أن يبحث عن قائد جديد للعراق ليستكمل ما بدأه خالد والمثنى رضي الله عنهما، وطال به البحث حتى أوشك أن يرحل بنفسه ليقود العراق.

ثم إنه كان يوماً بين أصحابه فصرخ: وجدته؟ قيل من؟ قال:

الأسد في عرينه.. ليس للعراق غيره.. سعد بن أبي وقاص

عائلته:

أم سعد هي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية، وهي بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية، كانت تعذب ابنها سعد بسبب إسلامه، وربما كان ذلك بسبب تأثرها بأهلها من بنى أمية الذين كانوا في منافسة قديمة على الشرف والمكانة مع بنى هاشم.

وَأَسْمُ أَبِي وَقَّاصٍ وَالده هو مَالِكِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ عبد مناف بن زهرة، وهو ابن عم السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم رسول الله.. ولذلك كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عن سعد متاخراً به:

هذا خالي فليرني امرؤ خاله صحيح الترمذی

أسلم سعد وعمره 16 عاماً، ويحكي سعد قصة إسلامه فيقول: رأيت في المنام قبل أن أسلم، كأني في ظلمة لا أبصر شيئاً إذ أضاء لي قمر، فاتبعته، فكأني أنظر إلى من سبقني إلى ذلك القمر فأنظر إلى أبي بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة، وكأني أسألهم متى انتهيتم إلى هنا؟ قالوا: الساعة. فلما استيقظت لقيني أبو بكر فأخبرني أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفياً، فأسلمت، فما تقدمني إلا هؤلاء الثلاثة.

يقول سعد: كُنْتُ بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ، قَالَتْ: يَا سَعْدُ! مَا هَذَا الَّذِي الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ؟ لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا، أَوْ لَا أَكُلُ، وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوتَ، فَتُعَيَّرَ بِي، فَيَقَالَ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ. قُلْتُ: لَا تَفْعَلِي يَا أُمَّهُ، إِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ. فَمَكَنْتُ يَوْمًا لَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ وَلَيْلَةً، وَأَصْبَحْتُ وَقَدْ جُهَدْتُ. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ: يَا أُمَّهُ! تَعْلَمِينَ - وَاللَّهِ - لَوْ كَانَ لَكَ مَائَةٌ نَفْسٍ، فَحَرَجْتِ نَفْسًا نَفْسًا، مَا تَرَكْتُ دِينِي، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي أَوْ لَا تَأْكُلِي. فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، أَكَلَتْ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ

بِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿١٥﴾

صحيح مسلم.

وحين اشتد البلاء على المسلمين والاضطهاد والتعذيب هاجر البعض منهم إلى الحبشة، لكن سعدا رضي الله عنه أثر أن يبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متحملاً العذاب.

فلما قررت قريش مقاطعة المسلمين حاصروهم في شِعب أبي طالب (الشِعب مكان ضيق بين جبلين)، لا يبيعون لهم شيئاً، ولا يشترون منهم شيئاً ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، ومنعواهم من الخروج من الشِعب كما منعوا الناس من الدخول إليهم حتى نفذ زادهم، وكان سعد مع المسلمين بالشعب يعضه الجوع حتى أنه أكل معهم أوراق الشجر، وقد استمرت هذه المقاطعة الظالمة 30 شهراً.

ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأنه أرسل إليها حشرة الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم؛ إلا نكر الله عز وجل، فأخبر الرسول بذلك عمه، فخرج إليهم فأخبرهم أن ابن أخيه قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خيلنا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعت عن ظلمنا، قالوا: أنصفت... فأنزلوا الصحيفة فلما رأوا الأمر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ازدادوا كفراً وعناداً... وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الشعب.



❖ هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد السابقين للإسلام ؛ كانت بنته عائشة تقول: مَكَثَ أَبِي يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ وَإِنَّهُ لَثَلُثَ الْإِسْلَامَ **صحيح البخاري** - شهد بدرًا وأحدا والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله، وشهد فتح مصر مع عمرو بن العاص وله بمصر أبناء.

❖ كان أصحاب رسول الله ﷺ يستخفون بصلاتهم، وكان سعد في شعب من شعاب مكة في نفر من الصحابة إذ ظهر عليهم المشركون، فنافروهم وعابوا عليه دينهم حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلا من المشركين فشجه، فكان أول دم أريق في الإسلام بيد سعد.

❖ وقبيل غزوة بدر خرج سعد في سرية ومعه عدد من الصحابة فانكفأ المشركون على المسلمين، فرماهم سعد بسهامه فكان رضي عنه أول رجل من المسلمين يرمي بسهم في سبيل الله، وعمره يومئذ ثمانية وعشرون عاما.

❖ ولما هاجر إلى المدينة أختى الرسول ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ سيد الأوس وفي ذلك إشارة لمنزلة سعد بن أبي وقاص.

❖ ويكفي سعد فخرا ما قاله سيدنا علي بن أبي طالب: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ؛

فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي. صحیح

البخاري

❖ وكان رضي الله عنه من أحدِ الناسِ بصرا، فرأى يوما شيئا بعيدا يتحرك، فقال لمن معه أترون شيئا؟ فقالوا: نرى شيئا كالطائر. فقال أرى راكبا على بعير... فكان كما قال سعد.

❖ سعد هو الذي أسس مدينة الكوفة (سميت كذلك من التَّكْوُف، أي التجمع وسميت أيضا كوفة الجند لأنها أسست لتكون قاعدة تتجمع فيها الجند قبل الانطلاق في فتوحات بلاد فارس)، وقد ولاه عمر عليها، وهو أيضا الذي فتح المدائن وأنهى حكم الأكاسرة للأبد.

❖ ومن مناقب سعد رضي الله عنه أنه كان رأس الجيش يوم القادسية كما سنرى، ثم كان قائد الجيش يوم فتح الفتوح الذي سقطت بعده مدائن كسرى واستأصل الله بعده الأكاسرة.



سعد من أهل الجنة

بُشِّر سعد بالجنة عدة مرات، فقد ذكره الرسول في حديث العشرة المبشرين بالجنة فقال: أبو بكر في الجنة وعُمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة. **رواه الترمذي وصححه الألباني.**

كما كان سعد بن أبي وقاص - في إحدى روايتي الحديث - صاحب القصة المشهورة والتي قال فيها الرسول يوماً لأصحابه: يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فدخل سعد بن أبي وقاص. فأراد عبد الله بن عمرو بن العاص أن يعرف السبب، فبات عند سعد ثلاث ليال يزعم أنه مُخَاصِمٌ لأبيه حتى يتعرف على خصال سعد وأفعاله عن كتب، فراه لا يقوم من الليل شيئاً كثيراً لكنه فقط إذا تقلب ذكر الله. فقال عبد الله بن عمرو له: والله ما كان بيني وبين أبي شيء، غير أنني سمعت رسول الله يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف بم بلغت هذه المنزلة؟ قال سعد: والله ما هو إلا ما رأيت..

غير أنني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين سوءاً، ولا أحسده على ما أعطاه الله إياه

قال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا أطيع. **حديث**

صحيح

سعد والدعوة المستجابة

كان سعد رضي الله عنه مجاب الدعوة، مشهورا بذلك، ببركة دعاء الرسول الله بذلك.. قيل له متى أصبت الدعوة؟ قال: يوم بدر، كنت أرمي بين يدي النبي فأضع السهم في كبد القوس ثم أقول: اللهم زلزل أقدامهم، وارعب قلوبهم وافعل بهم، وافعل بهم... فيقول النبي: اللهم استجب لسعد إذا دعاك.

وكان يقول له: يا سعد إن الله لا يستجيب دعاء عبد حتى تطيب طعمته. فقال: يا رسول الله ادع الله أن تطيب طعمتي فقال: اللهم أطيب طعمة سعد.

ويروي سعيد بن المسيب (سيد التابعين) أن رجلا كان يقع في طلحة والزبير رضي الله عنهما (يشتمهما) لأنهما خرجا على علي رضي الله عنه فقال سعد بن أبي وقاص، وكان قد اعتزل الفريقين: لا تقع في إخواني، فأبى الرجل، فقام سعد فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إن كان مُسْخِطاً لك فيما يقول فأرني فيه آفة واجعله للناس آية، فخرج الرجل، فإذا بثعبان يشق طريقه حتى وصل للرجل فسحقه والناس ينظرون حتى قتله، فأنا رأيت الناس يتبعون سعد، ويقولون: يا أبا إسحاق، أجيبت دعوتك.



في يوم بدر خرج المسلمون لقتال المشركين وليس معهم إلا فرسان وسبعون بعييرا فكان الثلاثة والأربعة من الصحابة يتعاقبون البعير الواحد، فهذا يركب فترة وذلك يركب بعده وهكذا، وكان سعد وقتها في التاسعة والعشرين من عمره. يقول سعد: فكنت أعظم أصحابي استغناء، وأرجلهم رجلا،

فلم أركب خطوة ذاهبا ولا راجعا.

ولعل في هذا المشهد صورة للنفس ذات الأريحية التي ترى الشدة في الناس فتشدد على نفسها ليرتاح غيره طالما أن الله أعطاه القدرة، فلعل غيره يكون أحوج لهذا البعير منه.

وفي يوم أحد انهزم المسلمون وفر أكثرهم وثبت القليل مع رسول الله ﷺ وكان ممن ثبت معه يومئذ سعد بن أبي وقاص.

وفي هذه الغزوة خرجت أم أيمن (أم أيمن هي حاضنة النبي ﷺ) ومربيته، وكان يعاملها كأنها أمه، وكانت جارية حبشية عند السيدة آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، ثم صارت إلى رسول الله بعد وفاة أمه فأعتقها ﷺ، ومع ذلك بقيت بعد عتقها ملازمة له طيلة حياتها، وزوجها ﷺ من زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد حب رسول الله)، فخرجت أم أيمن في هذه الغزوة مع المسلمين تداوى وتسقي

الجرحي، فأصابها أحد المشركين ويدعى ابن العرقه بسهم فأصاب ثوبها من الخلف، ففزعت وخشيت أن تكشف، فضحك منها ابن العرقه، فرآها رسول الله فدفع لسعد سهمها، فرمى سعد ابن العرقه في عنقه، فوق مستلقيا على ظهره وبدت عورته، فابتسم رسول الله راضيا عن انتقام سعد لأم أيمن. يقول سعد: فلقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناولني النبال ويقول:

” ارم أيها الفتى الحزور ارم فداك أبي وأمي حتى إنه

ليناولني السهم ماله نصل فأرمي به . رجاله ثقات

وكسرت قوس سعد يومئذ من كثرة ما رمى بها فأعطاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوسا أخرى ودعا له فقال: الله سدد رميته وأجب دعوته فكان لا يخطئ الرمي وكان مجاب الدعوة.

وكان سعد قبل بداية معركة أحد قد التقى بعبد الله بن جحش (ابن عمه النبي فهو ابن أميمة بنت عبد المطلب عمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشقيق أم المؤمنين زينب بنت جحش) فقال لسعد: أَلَا تَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ فَحَلُّوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بِأَسْهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ (حماسته وغضبه) ؛ فَأَقَاتِلَهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتَلَهُ وَأَخْذُ سَلْبَهُ، فقال عبدُ الله بنُ جَحْشٍ: آمين، ثُمَّ قَالَ عبد الله: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرْدُهُ، شَدِيدًا بِأَسْهُ، أَقَاتِلَهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَاخُذْنِي فَيَجِدْ عُنْفِي، فَإِذَا لَقَيْتَكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ

اللَّهِ، فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَقُولُ: صَدَقْتَ. قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لِابْنِهِ وَهُوَ يَقْصُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ:

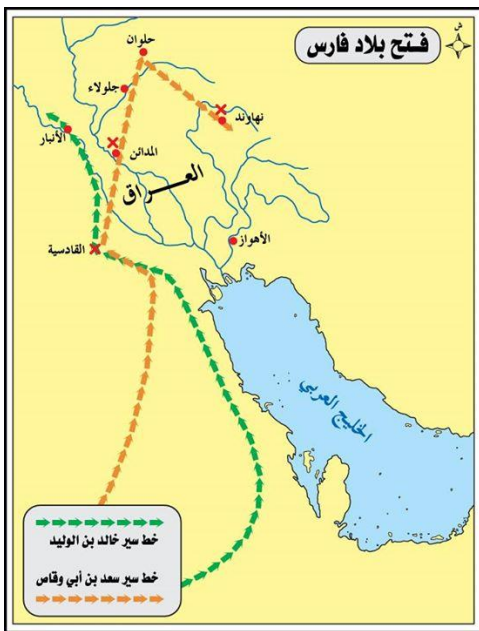
**يَا بُنَيَّ، كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ
وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعْلَقَانِ فِي خَيْطٍ**

فقد استشهد ومثل المشركون بجنثته فقطعوا أنفه وأذنه. سنن البيهقي. ودُفن عبد الله بن جحش مع خاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد.

سعد يوم الخندق

لم يكن هناك قتال يوم الخندق، فقد حفر المسلمون خندقا حول المدينة ولم يكن هناك قتال سوى الرمي بالنبال بين الجيشين، وبعض المحاولات اليائسة من المشركين لعبور الخندق، قال سعد: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك يوم الخندق حتى بدت نواجذه وذلك أن رجلا من المشركين كان يرمي المسلمين ومعه ترس يحتمى به وكان الرجل حريصا لا يظهر منه شيء، فتربص به سعد - وكان سعد راميا لا يكاد يخطئ - حتى إذا ما رفع الرجل رأسه لحظة رماه سعد بسهم فلم يخطئ جبهته، فضحك رسول الله ﷺ إعجابا بفعله حتى بدت نواجذه.

وكان الحصار شديدا على المسلمين ولا يكاد يجد الواحد منهم وقتا لينام دون قلق، حتى إن رسول الله ﷺ أرق ذات ليلة، فقال: لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْغَزْوَةِ: وَسَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمِعَتْ غَطِيطَهُ. صحيح مسلم



سلطان

شخصية سعد كانت مؤهلة لعمل جليل، فقد كان سعد من أهدأ القادة المشهورين أعصابا، وأكثرهم رزانة، وأبعدهم عن الخطأ في الحرب، وهذا ما سيتبين جليا في قيادته للجيش التي أزلت عرش كسرى إلى الأبد. كان سعد في صغره يعمل بברי النبال بمكة، وقد انعكست عليه آثار مهنته هذه فكان أشد الناس إجادة للرمي كما مر بنا.

فلما أراد عمر أن يعين قائدا جديدا للعراق عزم أولا أن يسير بنفسه فقال: استعدوا وأعدوا فإنني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك. فجبهة العراق كانت أصعب الجبهات ويكفي أن الهزيمة الوحيدة للمسلمين حدثت هناك في معركة الجسر التي استشهد فيها 4000 مسلم، هم تقريبا نصف الجيش.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو أول من فكر في أن يذهب عمر للعراق ليقود الجيوش هناك، فكان أبو بكر يقول:

وددت لو وجهت خالد إلى الشام وعمر إلى العراق فأكون قد بسطت يدي كتاهما في سبيل الله.

لكن عمر الآن خليفة، والأمر يختلف، ولذلك رفض كل الصحابة فكرة أن يذهب عمر بنفسه ليقود العراق... فقال عبد الرحمن ابن عوف: ما فديت أحدا بأبي وأمي بعد النبي صلى الله عليه وسلم قبل يومئذ ولا بعده، فقلت

لعمر: بأبي أنت وأمي... امكث هنا واجعل عجزها بي (اجعلني أنا سبب العجز والضعف عن هذا الحزم)، وأقم وابعث جندا، فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك، وإنك إن تهزم أو تقتل خشيت ألا يكبر المسلمون وأن لا يشهدوا إلا إله إلا الله بهذه الأرض أبدا.

فاجمعوا على أن يقعد عمر، ويؤمر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ فبينما هو يبحث عن رجل ليقود العراق، وصله كتاب من سعد بن أبي وقاص وكان عمر استعمله على صدقات هوازن (يجمع زكاة مال قبيلة هوازن) فقال عمر: وجدته!! قال عبد الرحمن بن عوف: فمن؟ قال عمر: الأسد في عرينه... سعد بن أبي وقاص، فقال عبد الرحمن بن عوف: هو والله الأسد في برائته.



سعد يتوجه العراق

وعلى الرغم من هذا الإطراء، فإنه لما استدعى عمر سعدا وأمره على العراق أوصاه فقال:

يَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ، لَا يَغْرَتُكَ مِنْ اللَّهِ أَنْ قِيلَ خَالَ رَسُولِ اللَّهِ وَصَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنَّهُ يَمْحُو السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ. يَا سَعْدُ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلَّا الطَّاعَةَ، فَالِنَّاسُ شَرِيفُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ سَوَاءٌ؛ اللَّهُ رَبُّهُمْ وَهُمْ عِبَادُهُ، يَتَفَاضَلُونَ بِالتَّقْوَى وَيَدْرِكُونَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِالطَّاعَةِ، فَانظُرِ الْأَمْرَ الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ فَالتَزَمَهُ فَإِنَّهُ الْأَمْرُ

ثم وصاه فقال:

إني قد وليتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر كريمة، لا يُخْلَصُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْحَقِّ.. فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به.. واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته، واجتناب معصيته.. وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة. وإن الله إذا أحب عبدا.. حبه للناس- وإذا أبغض عبدا.. أبغضه للناس. فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس.

سعد يوم القادسية

قاد سعد الجيش في القادسية سنة 14 هـ وعمره 40 عاما، ويشاء الله أن يمرض سعد قبيل المعركة بأيام بالغضروف في ظهره، والدامل في فخذيه، فكان لا يستطيع ركوب الفرس، بل لا يستطيع النوم إلا على بطنه، فبُني له مكان مرتفع (سمى القصر، وهو بالطبع ليس قصرا وإنما فقط مكان مرتفع)، وكان من خلال هذا القصر يُشرف على المعركة ويراهما كلها ثم يوجه جيشه من خلال صحابي آخر هو خالد بن عرفطة الذي عينه نائبا له وقال: اسمعوا له وأطيعوا فإنه يأمركم بأمرى.

وكان هذا من تقدير الله للمسلمين فمعركة القادسية ليست كأى معركة، فقد استمرت 4 أيام متواصلة (تحتاج لكتيب منفصل لوصف تفاصيلها) وكان حجم الجيشين فيها عظيما، فكان مرض سعد وبقاؤه في مكان مرتفع توفيقا من الله حتى يكشف المعركة بوضوح، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، فكان سعد يحرك ويغير أماكن القبائل والقوات طبقا لظروف المعركة، وهو وإن لم يقاتل بنفسه لكنه قاد المعركة قيادة رائعة.

وكان أشد ما لاقاه المسلمون في هذه المعركة هي الفيلة التي قدم بها الفرس وكانت تدهس المسلمين دهسا وكانت الخيول العربية تنفر منها فتسبب ذلك في اضطراب عظيم في جيش المسلمين وقد تعامل بعض

الصحابة مع الفيلة بحيل مبتكرة فألبسوا الخيل براقع عليها أجراس
فصارت الفيلة هي التي تهرب من خيل المسلمين!!!.

وأبلى جماعة من الشجعان مثل طليحة الأسيدي وعمرو بن معديكرب
والقعقاع بن عمرو وجريير بن عبد الله البجلي وضرار بن الخطاب وخالد
بن عرفة وأشكالهم بلاء عظيما حتى جاء نصر الله.

وأثنى سعد على جيشه بعد المعركة، خاصة أن غنائم المعركة اشتملت
على ما لا يحصى من الكنوز، وقد سُلمت إليه جميعها بعد المعركة،
فقال سعد:

**والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت هم
أفضل من أهل بدر**



ولاية سعد على العراق

اختار سعد موقع مدينة الكوفة لتكون كما طلب عمر رضى الله عنه: موقعا برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر.

فكلف سعد الصحابي الجليلان سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان فاتفقا على موقع قرب مدينة الأنبار في غربي الفرات، وكانت بيوتها في البداية من القصب، ثم وقع حريق في الكوفة، فبعث سعد إلى عمر يستأذنه في البنيان بالطوب اللبن، فأذن لهم على ألا يتناولوا في البنيان، وتولى سعد إمارة الكوفة.

وكان من دأب عمر بن الخطاب أن يسأل من يفد عليه من أهل كل بلد عن واليهم وكيف سيرته فيهم، فجاءه يوماً عمرو بن معديكرب من العراق فسأله عن سعد فقال: هو متواضع في خبائه، عربي في نمرته (لباسه)، أسد في عرينه، يعدل في القضية ويقسم بالسوية ويؤعد في السرية (يقود جيشه بهمة)، ويعطف علينا عطف الأم البرّة، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة.

وقدم الصحابي الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه فسأله عمر أيضاً عن سعد فقال: " هو أكرم الناس مقدرة، وأحسنهم معذرة، وأقلهم قسوة، وهو لهم كالأم البرّة كما أنه ميمون الأثر، مرزوق الظفر، أشد الناس عند البأس، وأحب قريش إلى الناس".

ومع ذلك لم يرض بعض أهل العراق من بنى أسد عن سعد فشكوه إلى عمر بالباطل فقالوا: أنه لا يُحسِنُ يُصَلِّي!! فأرسل عمر إلي سعد فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسِنُ تُصَلِّي!!، فقال سعد: أمّا أنا والله فإنّي كنتُ أصليّ بهم صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصلي صلاتي العشاء فأركضُ في الأوليين وأخففُ في الأخيرين. قال: ذلك الظنُّ بك يا أبا إسحاق.

وتركت هذه الشكوى الظالمة أثرها في نفسية سعد وكان يقول: إنّي لأولُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنَّا نَعْرُوْهُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى إِنْ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تَعْلَمُنِي مَبَادِي الْإِسْلَامِ؟، لَقَدْ خَبْتُ إِذَا وَضَلَّ عَمَلِي. **صحيح البخاري**. بمعنى قد خبتُ إذا وضَلَّ عَمَلِي إِنْ كُنْتُ لَمْ أَحْسِنِ الصَّلَاةَ وَأَفْتَقِرْ إِلَى تَعْلِيمِ بَنِي أَسَدٍ مَعَ سَابِقَتِي فِي الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ لَمَا وَشَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ، قَالُوا: لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي.

وأرسل عمر معه رجلاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة فلم يدع مسجداً إلا سأل عنه، فكانوا يُثنون كلهم عليه حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجلٌ منهم فقال: أمّا إذا نشدتنا بالله، فإنَّ سعداً لا يسيّر بالسريّة، ولا يقسم بالسويّة ولا يعدل في القضيّة. فقال سعد: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً، فأطّل عمره وأدم فقره وعرضه للفتن. فأصابته دَعْوَةُ سَعْدٍ - فَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا يَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ (يعاكس

البنات الصغيرات)، فيلام على ذلك، فيقول: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَقْتُونٌ أَصَابَتْهُ
دَعْوَةٌ سَعَدٍ مُتَّقٍ عَلَيْهِ.

ويبدو أن عمر وجدها فرصة ليجعل سعد إلى جواره بالمدينة فعزله، ثم لاحقاً جعله من الستة الذين ترك خلافته فيهم حيث كان عمر يرى أنه ليس هنا أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. ولكن عمر عقب على هذا الاختيار فقال:

**فَإِنْ أَصَابَتْ الْإِمْرَةَ سَعْدًا فَذَٰكَ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ عِنْدَ الَّذِي يَلِي
الْأَمْرَ، فَأَنِي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنِ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ.**

ولكن سعد كان قد زهد الولاية بعد ما مر به أثناء حكمه العراق، فلما مات عمر، اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة « بدلا من ستة »، قال الزبير: جعلت أمري لعلي، وقال طلحة: جعلت أمري لعثمان وقال سعد: جعلت أمري لعبد الرحمن بن عوف.

وهنا نذكر بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سعد وعبد الرحمن بن عوف بعد الهجرة، فتنازل سعد سريعا عن حقه لأخيه عبد الرحمن، ولم يتول ولاية لأحد بعد عمر.

لما رأى سعد اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فيما بينهم بعد مقتل عثمان، ثم بعد تفرقهم زمن الفتنة بين علي ومعاوية، فعندها اشترى سعد أرضاً قرب الصحراء، ثم بنى له بيتاً واعتزل بأهله، فجاء ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص يقول: ها هنا مئة ألف سيف يرونك أحق بهذا الأمر فقال سعد:

” أريد منها سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع

شيئاً، وإذا ضربت به الكافر قطعته ” حديث حسن

وكانت تلك فلسفة سعد في أيام الفتنة، فكان يرى أن الحق غير بين، وأن الأمور مختلطة فلا يتبين الصواب من الخطأ. فأثر الاعتزال واختلاط الأمر وعدم وضوحه عنده، كما فعل غيره من كبار الصحابة مثل عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة.

وكان يقول:

ما أزعم أنني أحق بالخلافة، لقد جاهدت وأنا أعلم بالجهاد، لا

أقاتل اليوم حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان يقول: هذا

مؤمن وهذا كافر!!

فَاعْتَرَلَ سَعْدُ الْفِتْنَةَ فَلَا حَضَرَ الْجَمَلَ وَلَا صِفَيْنَ وَلَا التَّحْكِيمَ رَغْمَ أَنَّهُ
كَانَ أَهْلًا لِلْإِمَامَةِ كَبِيرِ الشَّانِ.

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الذي جاء إلى عمه سعد في القصة السابقة كان من فضلاء الصحابة وشجعانهم، وهو أخو مصعب بن عمير لأمه، وهو معدود من الصحابة القلائل الذين حضروا اليرموك والقادسية معا، وكان قائدا مقدما في المعركتين، فقد اختاره أبو عبيدة ليكون قائدا للمشاة الذين يفترض أن يواجهوا خيل الروم أول المعركة بمشورة خالد بن الوليد وقال أبو عبيدة وقتها: حين سئل عن من يختاره على هؤلاء الرجال في وقعة اليرموك، قال: أُولَئِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَا يُخَافُ نَكْوَلَهُ وَلَا صُدُودَهُ عِنْدَ الْبَاسِ، أُولَئِهَا هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ. وَقَدْ فَتَّتْ عَيْنَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْيَرْمُوكِ.

فلما انتقل للعراق حضر القادسية، وأبلى فيها بلاءً حسناً، وعقد له عمه سعد لواء بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ففتح الله على يديه مدينة المدائن عاصمة بلاد فارس، وفتح على يديه أيضا مدينة جلولاء. وشهد هاشم بن عتبة بعد ذلك مع الإمام علي بن أبي طالب معركة صفين،

واستشهد هو وعمار بن ياسر معا في يوم واحد فبكاهما

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ودفنهما في قبر واحد،

في الموضع الذي استشهدا فيه، وقبرهما معلوم اليوم في محافظة الرقة في سوريا.

كان سعد آخر المهاجرين موتاً، وآخر العشرة المبشرين بالجنة موتاً، مات سنة 54 هـ في خلافة معاوية، وعمره 83 عاماً، كان سعد يومها خارج المدينة، فحُمِلَ على أعناق الرجال إلى المدينة فدفن بالبقيع.

ولما حضرته الوفاة دعا بجبة من صوف قديمة له فقال:

كَفَّنُونِي فِيهَا، فَإِنِّي لَقَيْتُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنَّمَا خَبَأْتُهَا لِهَذَا الْيَوْمِ. رواه أحمد

وثقل الموت على سعد فبكت ابنته عائشة بنت سعد (كانت أفضل أولاده وهي ثقة حُجَّةٌ، وحديثها مُخَرَّجٌ في الصَّحاح لفضلها)، فقال: ما يبكيك يا بنية؟ قالت: لمكانك وما أرى بك، قال:

لَا تَبْكِي؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُنِي أَبَدًا، وَإِنِّي مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛

قال الذهبي شيخ المؤرخين: صَدَقَ وَاللَّهِ؛ فَهَنِيئًا لَهُ.

وصدق ﷺ، فالشدة عند الموت ليست عذاب من الله لمثل هؤلاء، وإنما هي منحة أخيرة من الله فإن الله يشدد الموت على المؤمنين ليغفر لهم سيئاتهم، وإن الله يخفف سكرات الموت عن الكفار بقدر حسناتهم التي عملوها في الدنيا حتى لا يبقى لهم حسنة، ولا ثواب لما عمل من خير.

ولما مات سعد أرسلت أم المؤمنين عائشة ومعها من بقي على قيد الحياة من أزواج النبي ﷺ يطلبن أن تمر جنازة سعد عليهن بالمسجد، فوقفت الجنازة عندهن فصلين عليه بالمسجد وحدهن، وكانت الجنائز يصلى عليها عادة خارج المسجد إلا جنازة سعد لمكانته ومكانة أمهات المؤمنين اللاتي أردن الصلاة عليه. رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم.



مسجد الكوفة الذي بنى أصله سيدنا سعد بن أبي وقاص

كلمة أخيرة (الدعاء المستجاب)

كان سيدنا سعد بن أبي وقاص مشهوراً بأنه مستجاب الدعوة، وذلك ببركة دعاء الرسول له بذلك.

والدعاء هو لبّ العبادة وأساسها، وسمى القرآن الدعاء عبادة كما في قوله تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ.

وعدّ رسول الله من أبواب الرحمة التي تفتح للعبد أن يرزقه الله الدعاء، فكم من أناس تائهين في هذه الدنيا يغفلون عن الدعاء ويعتمدون فقط على إمكانياتهم المادية دون أن يرزقوا الدعاء. وفي الحديث: من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يُسأل العافية.

هناك أزمنة وأماكن يستحب فيها الإكثار من الدعاء رجاء الإجابة:

1. الدعاء في السجود: حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَفَمِنِّي (أرجى) أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ).

2. الدعاء يوم الجمعة: فقد ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ).

3. الدعاء في الثلث الأخير من الليل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ).

4. الدعاء بعد الصلاة: (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الدَّعَاءِ أَسْمَعُ قَالَ: جَوْفَ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ، وَدُبَرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ).

5. الدعاء عند نزول المطر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَنْتَانِ مَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَتَحْتَ الْمَطْرِ).

6. الدعاء يوم عرفة: كما في الحديث: "أَفْضَلُ الدَّعَاءِ دَعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"

7. الدعاء عند شرب ماء زمزم لحديث {ماء زمزم لما شرب له}

8. الدعاء عند سماع صوت الديك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاخَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا

رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيْقَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ،
فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا).

9. دعوة الوالد لولده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثُ
دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَالِدِهِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ
الْمَسَافِرِ).

10. دعاء الابن الصالح لوالديه: (إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عمله إلا
من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو
له).

هناك العديد من الأفعال التي تجعل الدعاء غير مستجاب، وهذه
الموانع منها:

1. أكل الحرام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ
اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ
الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا،
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} وَقَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ}، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ
إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ
حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟).

2. الدعاء بالإثم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَزَالُ
يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمِ).

3. ترك الواجبات التي أوجبها الله تعالى: (والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ قَوْمًا، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ).

4. الدعاء بقلب لاه، وبغير إقبال على الله لأن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل: "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"

5. الاستعجال: ففي الحديث: يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي.

وأحوال الدعاء مع البلاء لا تعدو واحدة من ثلاث:

1. أن يكون الدعاء أقوى من البلاء فيدفعه: كما في الحديث: "لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه".

2. أن يكون الدعاء أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد: ولكن قد يخففه الله بالدعاء كما في الحديث: "لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء"

3. أن يتقاوم الدعاء والبلاء ويمنع كل واحد منهما صاحبه: ففي الحديث: "إن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة".

ومن الأدعية المأثورة عن النبي:

• دعوة سيدنا يونس: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَم يَدْعُ بِهَا مُسَلِّمٌ رَبُّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ).

• الدعاء باسم الله الأعظم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أتدرون بم دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى.

• وكان النبي إذا حزبه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث.

• وكان يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش الكريم."